

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

ترجمة أسماء بن زيد - رضي الله عنه-

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول النووي - رحمه الله -: وعن أبي زيد أسمامة بن زيد بن حارثة، مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحبه وابن حبه - رضي الله عنهما - قال: أرسلتْ بنت النبي - صلى الله عليه وسلم - إن ابني قد احتضر فاشهدنا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: ((إن الله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب، فأرسلت إلينه تقسم عليه ليأتينها ...))^(١) إلى آخر الحديث.

هذا الحديث أورده النووي - رحمه الله - في باب الصبر، ووجه إيراده ظاهر، وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمرها أن تصبر وتحتسب، وذلك أن الإنسان إذا نزلت به مصيبة من موت من يحب، أو غير ذلك فإن عليه أن يصبر، فلا يفضي ذلك به إلى الضجر، وأن يحتسب بمعنى أنه يرجو الثواب من الله - عز وجل - على هذا الصبر، وعلى هذه المصيبة.

والاحتساب: أصله من الحَسْبُ وهو العد، تقول: فلان يحتسب أجره عند الله أي: أنه يرجو الثواب من الله - تبارك وتعالى - على هذا البلاء الذي نزل به؛ لأن الإنسان يؤجر إذا أصابته المصيبة، وتُكفر عنه هذه الخطايا، ويؤجر على الصبر؛ لأنه من أفضل العمل الصالح.

قال: عن أبي زيد أسمامة بن زيد، أبو زيد هذه كنية أسمامة، ويقال: إن كنيته أبو يزيد، وبعضهم يقول: أبو محمد، وبعضهم يقول: أبو خارجة.

فالملخص أن أسمامة بن زيد - رضي الله تعالى عنه - هو ابن زيد بن حارثة الذي يرجع نسبه إلى قبيلة كلب، وهو عربي فُحْ، وإنما سُبِّي لِمَا أغارت خيل لمَا كان مع أمِّه، لما كان في زيارة لأحواله من بني طيء في شمال الجزيرة العربية، فأغارت خيل من بني القين، فأخذوا شيئاً من النعم الإبل والغنم، وأخذوا زيداً واسترقوه، وذهبوا به وباعوه في سوق حُباشة، في مكة أو قريباً من مكة، فاشتراه حكيم بن حرام - رضي الله عنه - ثم وبه لخديجة - رضي الله تعالى عنها -، ثم بعد ذلك وهبته للنبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أعتقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

هذا زيد بن حارثة والد أسمامة بن زيد، وأسمامة بن زيد سرى إليه العتق لما أعتق النبي - صلى الله عليه وسلم - أباه.

وأمه يقال لها بركة، وهي امرأة حبشية، وهي المعروفة بأم أيمن، مولادة النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأسمامة بن زيد - رضي الله تعالى عنه - يكون أخاً لأيمان ابن أم أيمن لأمه.

^١ - أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه) إذا كان النوح من سننه (٤٣١/١)، رقم: (١٢٤)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت (٦٣٥/٢)، رقم: (٩٢٣).

وكان زيد بن حارثة -رضي الله تعالى عنه- شديد البياض، ولكنه لما تزوج أم أيمن -وهي امرأة حبشية سوداء- جاء أسامة -رضي الله تعالى عنه- شديد السواد، فكان سواده كالليل، ولهذا كان يطعن في نسبه المنافقون، ويقولون: هذا ليس من هذا.

وتعرفون خبر ذلك الرجل الذي يعرف في القيافة، لما رأى أسامة وأباه في المسجد قد ناما والتحفا ببرد، ولم تظهر إلا أرجلهما، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض، ففرح بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- وسر به^(٢)، والقصة في ذلك مشهورة معروفة.

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يحب أسامة -رضي الله عنه- كثيراً، حتى إنه لما أصابته الحصبة وكان لعابه وأنفه يسيل، فأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- عائشة أن تطرح الأذى عنه، فكأنها كرهت ذلك، وعافت نفسها، فأخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- يزيل ذلك عنه بنفسه -عليه الصلاة والسلام-، وهذا لتواضع النبي -صلى الله عليه وسلم- الشديد، فإن الإنسان قد لا يفعل ذلك لولده، ويتقذر، فكيف بهذا الغلام الأسود الذي هو ابن لمملوك عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟!، وهذا يدل على شدة حب رسول الله، وقد أخبر -صلى الله عليه وسلم- عائشة بهذا.

وقد أمره النبي -صلى الله عليه وسلم- على الجيش الذي كان يرابط خارج المدينة، وأوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- عند موته بإنفاذ جيش أسامة، وكان من الجنود الذين في هذا الجيش عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وكان عمر أسامة آنذاك سبع عشرة سنة.

فلما ولّي أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- كان من أول أعماله إنفاذ جيش أسامة، وقد تردد بعض الصحابة في هذا، واقتروا على أبي بكر أن يبقى الجيش للحاجة؛ لأن المدينة صارت مستهدفة، فأصر أبو بكر على إمضاءه، واقتراحت عليه بعضهم أن يغير قائد، وأن يضع رجلاً قد جرب الحرب وعركتها.

قال: "لقد كرهتم إمارته، كما كرهتم إماره أبيه"، فأصر فأنفذه -رضي الله عنه-، واستأذنه في أن يستبقي عمر معه ليكون وزيراً له ل حاجته إليه.

وقد روى أسامة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- نحواً من مائة وثمانية وعشرين حديثاً، أخرج الشیخان منها ثمانية عشر حديثاً، اتفق الشیخان على خمسة عشر حديثاً، وانفرد البخاري بثلاثة أحاديث، فكان مجموع ما له من الأحاديث في الصحيحين ثمانية عشر حديثاً -رضي الله تعالى عنه وأرضاه. يقولون: إنه توفي بعد قتل عثمان -رضي الله عنه-، توفي في الجرف، وهي ناحية قريبة، الآن هي داخل المدينة من الناحية الشمالية.

ويقول بعضهم: إنه توفي سنة أربع وخمسين للهجرة، وبعضهم يقول: ثمان وخمسين، وبعضهم يقول: تسع وخمسين، أي: أن وفاته قد تأخرت. هذا ما يتعلق بترجمته -رضي الله تعالى عنه-، والحديث له بقية.

٢ - أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي -صلى الله عليه وسلم- (١٣٦٥/٣)، رقم: (٣٥٢٥)، ومسلم، كتاب الرضاع، باب العمل بـاللحاقي القائف الولد (١٠٨١/٢)، رقم: (١٤٥٩).

أَسْأَلُ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَنْفَعَنَا وَإِيَّاكُمْ بِمَا سَمِعْنَا، وَأَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ هَدَاةً مَهْتَدِينَ، وَأَنْ يُلْحِقَنَا فِي زَمْرَتِهِمْ،
وَصَلِّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّداً، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ.